الفصل الثالث

دين الإنسانية

انسان القرآن هو انسان القرن العشرين ، ولعل مكانه فى هـذا القرن أوثق من أمكنته فى كثير من القرون الماضية . فالقرون الماضية لم تلجىء الانسان الى البحث عن مكانه فى الوجود كله ، وعن مكانه بين الكائنات الحية على هـذه الأرض ، وبين أبناء نوعه وأبناء الجماعة التى يعيش فيها من ذلك النوع ، وبين كل نسبة ظاهرة أو خفية ينتمى اليها .. كما ألجأه الى ذلك كله القرن العشرون .. وقديما كان الحكماء يحملون شعارهم فى نصيحة الانسان : « اعرف نفسك » .

ـ ما مكان الانسان من الكون كله ؟

ـ ما مكانه بين أبناء نوعه البشرى ؟ وما مكانه بين كل جماعة من هـذا النوع الواحد ، أو هـذا النوع الذى يتألف من عـدة أنواع يضمها عنوان « الانسان » ؟

وهى أسئلة لا جواب لها فى غير « عقيدة دينية » تجمع للانسان صفوة عرفانه بدنياه وصفوة ايمانه بغيبها المجهول .. تجمع له زبدة الثقة بعقله ، وزبدة الثقة بالحياة .

والانسان فى عقيدة القرآن هو المخلوق المسئول بين جميع ما خلق الله .. يدين بعقله فيما رأى وسمع ، ويدين بوجدانه فيما طواه الغيب ، فلا تدركه الأبصار والأسـماع .. « والانسانية » من أسلافها الى أعقابها أسرة واحدة لها نسب واحد واله واحد ، أفضلها من عمل حسنا واتقى سيئا ، وصدق النية فيما أحسنه واتقاه [1] ..

* * *

---

(١) عباس محمود العقاد ، **الانسان فى القرآن** (ط ٢) . (بيروت : دار الكتاب العربى ، ١٩٦٩) ، ص ٨ ـ ١٢

النظـــام الاجتماعى الاســـلامى

ان النظام الاجتماعى الاسلامى الذى نشأ وازدهر حتى عم ثلاثة أرباع الكرة الأرضية ، كان يستند الى نظرية اجتماعية اسلامية تنطوى على العناصر الآتيـــة (٢) :

١ ــ أمتياز الاسلام بالصفة الانسانية :

لقد انطوى الاسلام منذ يومه الأول على طاقة روحية • ولمـــا كانت الروحية الاسلامية طاقة ديناميكية متحركة ، وليست ثابتة ، فانه يمكن القول بأن الدين الاسلامى ينطوى فى ذاته على عوامل التغير الاجتماعى الارتقائى • ولذلك فقد انعكس التغير الاجتماعى الاسلامى على حياة الأفراد والجماعات ، وكذلك على النظم والمنظمات الاجتماعية فى كل جوانبها • ومن هنا ينطوى موضوع علم الاجتماع الاسلامى على ضرورة دراســـة التغير الاجتماعى الذى أحدثه الاسلام فى الحياة العـــامة وفى المعاملات وفى النظم الاجتماعية ، وفى نظم الحكم ، وفى تشريعات الأسرة ، خاصـــة وأن التغير الاجتماعى الاسلامى كان تغيرا جذرياً يمس الأوضاع فى حياة الناس ، وأنه لم يكن مستندا الى ما جاء به الكتاب الكريم وحده ، وانما صاحبته السنة التطبيقية التى أصبحت منذ المراحل الأولى للاسلام مصدرا للاسترشاد والتفسير والقياس فى حياة الناس بالمجتمعات •

* * *

٢ ــ أمتياز الاسلام بالعمومية الاجتماعية :

لقد كان الاســـلام منذ يومه الأول دينا ينطوى فى ذاته على « العمومية » ، وتلك العمومية من أهم خصائص الظواهر الاجتماعية •

---

(٢) زيدان عبد الباقى ، **علم الاجتماع الاسلامى** • (القاهرة : مطبعة السعادة ، ١٩٨٤) ، ص ٢ ــ ٢٤ .

فقد كان الاسلام دين « دعوة » له رسالة يجب على المسلم أن يبلغها ، وأن يبشر بها غير المسلمين . وهو من هذه الناحية يختلف عن ديانات أخرى سماوية مثل اليهودية التى لم يهتم أصحابها بنشرها بين الناس ، وان كانوا هم قد انتشروا فى الأرض محتفظين بعقيدتهم لأنفسهم .

والجديد فى الدين الاسلامى منذ نشأته هو العمل على التحول الشامل بكل أجزاء المجتمع ، مع اخضاع الجماعات البشرية الى نظام موحد والارتفاع عن مستوى المتناقضات السلالية والعنصرية « كلكم لآدم وآدم من تراب » . ففى اطار الوحدة الدينية يمكن أن تتعدد العادات وتتنوع التقاليد ، كما يمكن أن نجد أجناسا ولهجات وطبائع وسلالات مختلفة تربطها ديانة واحدة . أى أن الغاية المثلى من الدين الاسلامى هى الانتقال من المراحل الجزئية الى مراحل التجانس والاطار الفكرى الموحد الذى يمكن أن تزدهر فى ظلاله مختلف الآراء مهما تنوعت وتباينت . فهذا الدين هو فى الواقع دليل عمل وأسلوب لاحداث التغير الاجتماعى والارتقاء بالجماعات البشرية . وبالتالى فان القرآن الكريم يقف على قمة الأدوات الرئيسية للتغير الاجتماعى الارتقائى ، وبالتالى فان المجتمع الاسلامى يتميز على بقية المجتمعات الأخرى غير الاسلامية بتلك العلاقة القوية التى تربطهم بكتابهم الكريم الذى ينطوى على ثورة اجتماعية ارتقائية لا مثيل لها على الاطلاق .

ومما يؤكد عمومية الدين الاسلامى أيضا أن الاسلام جاء عاما — حتى لأصحاب الديانات السماوية السابقة . فالاسلام — فى لغة القرآن — ليس اسما لدين خاص ، وانما هو اسم للدين العام الذى هتف به كل الأنبياء ، وانتسب اليه كل الأنبياء ومن تبعهم .. فهكذا رأينا نوحا يقول لقومه : « **وأمرت أن أكون من المسلمين** » . (يونس : ٧٢)

وأوصى يعقوب بنيه بقوله : « .. **فلا تموتن الا وأنتم مسلمون** » . (البقرة : ١٣٢)

واستمع يعقوب الى بنيه يقولون :

« .. **نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون** » . (البقرة : ١٣٣)

وقال موسى لقومه :

« يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين » .
(يونس : ٨٤)

وقال الحواريون لعيسى :

« .. آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون » . (آل عمران : ٥٢)

وبصفة عامة نجد الاسلام شعارا عاما يدور فى القرآن على ألسنة الأنبياء وأتباعهم منذ أقدم العصور الى عصر النبوة المحمدية . ثم نرى أن القرآن الكريم يجمع مختلف هذه القضايا فى قضية واحدة ، يوجهها الى محمد وقومه ، موضحا لهم فيها أنه لم يشرع لهم دينا جديدا ، وانما هو دين الأنبياء من قبلهم ، لقوله تعالى :

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه .. » . (الشورى : ١٣)

وكذلك نراه حين يسرد سيرة الأنبياء وأتباعهم ينظمهم فى سلك واحد ، ويجعل منهم جميعا أمة واحدة لها اله واحد ، كما أن لها شريعة واحدة ، لقوله تعالى :

« ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » .
(الأنبياء : ٩٢)

* * *

٣ ــ امتياز الاسلام بالجاذبية الاجتماعية :

ترجع جاذبية الدين الاسلامى الى « بساطته » و « واقعيته » ، وبعده عن التعقيد . وهو فى الوقت ذاته دين « مباشر » يتصل فيه العبد بخالقه دون وساطات كهنية أو كنسية . والبساطة فى العقيدة الاسلامية تشمل مختلف العبادات والمعاملات ، وما نظن أن دينا يطلب من الفرد شهادة أبسط من شهادة الاسلام فى عمقها وجلالها « لا اله

الا الله ، محمد رسول الله » • وقد نزل الاسلام بهذه الشهادة التى تصوغ أعمق فكرة بأبسط عبارة ، كما نزل بآيات محكمات وتشريعات ، تكملها سنة قائمة على البساطة البعيدة عن كل تعقيد • ومن هنا كان الموقف على عتبة الاسلام موقفا ميسورا « وجذابا » ، ولا غرو فى ذلك ، فقد كانت القاعدة الثابتة لدى من يدعو الى الاسلام أن الدين يسر لا عسر • ومن هنا كان الاطمئنان الروحى والفكرى أول ما يستشعره من يدخل فى دين الاسلام ، لاسيما وأن اعتناق العقيدة الاسلامية يأتى مباشرة ودون وساطة أو وكالة عن طريق كاهن أو كنيسة • ان التكليف فى الاسلام جاء فرديا ، وان روعيت فيه ظروف الفرد من الناحية الانسانية • ومما تجدر الاشارة اليه هنا أن هذه الجاذبية المستمدة من البساطة قد يسرت انتشار الاسلام ، ومهدت لاحتفاظه بطابعه الاجتماعى الموحد — ولو من الناحية الروحية الدينية • غير أنها لم تنته بالضرورة الى ذلك القدر من « المرونة » الذى قد يشوه التطبيق ، ويرجع ذلك الى أن القرآن الكريم — كوعاء للعقيدة — حفظها على مر العصور ، وأضفى عليها صفة العمومية ، ولم يسمح للبساطة أن تنقلب الى مرونة مشوهة •

وتبدو تلك الجاذبية واضحة فى الربط بين الضرورتين الدينية والاجتماعية باعتبارهما من الضرورات الأساسية لحياة الانسان •• ذلك أن الانسان كائن اجتماعى ، أى اجتماعى بطبعه ، ولا يستطيع الانسان أن يعيش بمفرده فى هذا الكون ، حيث ان الشعور بالانتماء من الحاجات الأساسية للانسان • وكذلك يوصف الانسان بأنه كائن متدين ، بمعنى أنه لابد أن ينتمى الى دين ما ، ويمكن القول بأن الانسان متدين بطبعه ، وأن الطبيعة الدينية جزء من طبيعته الكلية ، فالدين ضرورة للانسان • ولولا جاذبية الدين ما استطاع الانسان أن يوفق بين الضرورتين الدينية والاجتماعية ، فالضرورة الدينية تتميز بالثبات والاستقرار ، بينما تتميز الضرورة الاجتماعية بالتغير والتطور • بمعنى أن الانسان بمقتضى جاذبية الدين الى نفسه استطاع أن يواجه عالما جديدا متغيرا ومتطورا ، وهو يعتنق دين الاسلام الثابت المستقر •

* * *

٤ ــ امتياز الدين الاسلامى بالموضوعية :

امتاز الدين الاسلامى على غيره بالبعد عن الجمود وبالدعوة الى الاجتهاد ، فهو دين رحب يقبل الاجتهاد ، بل ويدعو اليه فى حدود أصول العقيدة ، والى جانب ذلك فهو يدعو الى سبيل العقل كما يدعو الى سبيل الحق • ومن هنا كانت الدعوة الى التأمل والمعرفة والاستبصار من أسس الدعوة الاسلامية ، وكان التفتح العقلى البصير مفتاحا للدعوة الاجتماعية الموضوعية فى الاسلام •• ذلك أنه عندما خرج المسلمون من بلادهم ، وتعرفوا على حضارات أخرى لم يجانبوها لمجرد أنها حضارات سابقة ، وانما أخذوا منها ما وجدوا فيه الخير ولم يتعارض مع أسس الشريعة الاسلامية ومبادئها • كما أن الاسلام ، وقد جاء فى بيئته الأولى ختاما للرسالات السماوية ، قد أعاد للفكر التوحيدى فى المشرق أصالته ، واستطاع بهذه الاعادة أن يجلى بعض معالم الفكر الاجتماعى الاسلامى فى تلك المنطقة ، وأن ينطلق به الى الشرق والغرب والى ما وراء البحار ، وكان الاسلام فى ذلك كله باحثا ومنقبا ومجليا للفكر الاجتماعى بصورته الانسانية •

والاسلام ، فوق ما اشتمل عليه من مبادىء خلقية سامية ، هو فى ذاته دين العقل •• فما من أمر جاء به الا كان موافقا للعقل ، يدركه ويصدقه ويذعن له ما دام غير معتكر بهوى غالب أو شهوات مسيطرة • فعقيدته ــ وهى الوحدانية لله تعالى فى ذاته وفى صفاته وفى خلقه وابداعه ــ أمر هو حكم العقل المستقيم الواعى حام حوله الفلاسفة الأقدمون • وليس فى ادراك تلك الوحدانية معوقات تعرقل العقل أو تعطله ، بل انها واضحة غير معقدة ، يصل اليها العقل اذا خلا من الأوهام ولم يرتكس فى الوثنية أو المادية ، كما جرى على ألسنة بعض الذين لا يدركون حقائق هذا الوجود • ان كل ما فى الاسلام من مبادىء يتفق تمام الاتفاق مع العقل ، حتى أن أعرابيا سئل : لماذا آمنت بمحمد ؟ فأجاب : ما رأيت محمدا قط يقول فى أمر : افعل ويقول

العقل : لا تفعل ، وما رأيت محمدا يقول فى أمر : لا تفعل ، والعقل يقول : افعل [٣] .

ويؤكد القرآن الكريم موضوعية الدين الاسلامى بقيام العقيدة الاسلامية على طابع الانصاف والتبصير ، حيث يقتضى الاسلام من كل مسلم ألا يقبل جزافا أو ينكر جزافا ، وانما يطالبه باعمال عقله . ولقد حث الله تعالى الانسان على التفكير فى الكون ، والنظر فى الظواهر الكونية المختلفة ، وتأمل بديع صنعه ، ومحكم نظامه ، قال تعالى :

● **« قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق .. »**
(العنكبوت : ٢٠)

● **« أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها ، فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور »**
(الحج : ٤٦)

● **« أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت . والى السماء كيف رفعت . والى الجبال كيف نصبت . والى الأرض كيف سطحت . فذكر انما أنت مذكر »** . (الغاشية : ١٧ — ٢١)

● **« أو لم يتفكروا فى أنفسهم ، ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى .. »** (الروم : ٨)

● **« فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب »** . (الطارق : ٥ — ٧)

ويتضح حرص القرآن الكريم على دعوة الناس الى التفكير من ورود كثير من الآيات التى تتضمن مثل هذه العبارات : **« أفلا يعقلون »** [٤] ، **« أفلا تتفكرون »** [٥] ، **« أفلا يتدبرون »** [٦] ، **« أفلا تتذكرون »** [٧] ، **« لقوم يعقلون »** [٨] ، **« لقوم يتفكرون »** [٩] ، كما أوضح القرآن

---

(٣) المرجع السابق ، ص ١٣ .
(٤) يس : ٦٨ (٥) الأنعام : ٥٠ (٦) النساء : ٨٢
(٧) الأنعام : ٦ (٨) الرعد : ٤ (٩) يونس : ٢٤

أهمية التفكير فى حياة الانسان ، ورفع من قيمة الانسان الذى يستخدم عقله ، وحط من شأن من لا يستخدم عقله • قال تعالى :

● **« ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون »** • (الأنفال : ٢٢)

● **« أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ، ان هم الا كالأنعام ، بل هم أضـــل ســـبيلا »** • (الفرقان : ٤٤)

* * *

٥ ــ امتياز الاســـلام بالالزام الاجتماعى :

تتميز العاطفة الدينية بقوتها الضاغطة لأنها موضوعية ، بمعنى أن خاصية القهر أو الالزام الدينى تترتب على خاصية الموضوعية • فالظاهرة الدينية ــ كظاهرة اجتماعية ــ عبارة عن ضروب من الشعور أو السلوك الذى يوجد خارج ضمير الفرد ، ومن الضرورى أن يفرض نفسه على شعوره وسلوكه ، وان كان الفرد ــ فى الحقيقة والواقع ــ لا يشـــعر فى كثير من الأحيان بهذا القهر لاستجابته له بحسب العادة • فالمســـلم ملتزم بأداء العبادات، فنراه يترك أمور الدنيا وشئونها ومباهجها كى يؤدى فريضة الصلاة فى موعدها أو الصوم أو الحج ، وهو يفعل ذلك تلقائيا عن عقيدة وايمان • ويضاف الى ذلك أن الاسلام دين للآخرة وللدنيا فى آن واحد ، بصورة تختلف عن غيره من العقائد التى ينبع بعضهـــا من ماديات الحيـــاة ثم تضفى عليها مسحة من العبادة أو الفلسفة السطحية ، وينبع بعضها الآخر من منابع الروحانيات التجديدية التى بقيت منفصمة عن معاملات الحياة الواقعية • وقد ترتب على ما اتصف به الاســـلام من جمع بين الروح والمـــادة ، والدين والدنيا ، أنه أصبح دينا حيا واقعيا يلائم الحياة مهما اختلفت ظروفها البيئية أو التاريخية • هـــذا فضلا عن التصاق الاسلام بالحياة الاجتماعية فى مفهومها الحقيقى وصورتها الواقعية بدرجة كبيرة • وفى الوقت ذاته أصبحت العقيدة الاسلامية على اتصال بالبناء الاجتماعى بجانبيه المـــادى والمعنوى • ومن هنا نجـــد أن القهر أو الالزام بصورته الاسلامية هو قهر أو الزام اجتماعى ، يتقبله المسلم عن اقتناع ويصبح جزءاً من حياته •

* * *

٦ — امتياز الاسلام بالترابط الاجتماعى :

الاسلام بطبيعته دين « وصل » بين الناس • ولقد كان النبى محمد ﷺ تاجرا ، ولم يكن صاحب حرفة أو مهنة أخرى مما يفصل صاحبها عن المجتمع ، أو يجعله فى جانب خاص أو ضمن فئة منعزلة عن الناس • والتجارة — من وجهة نظر الاسلام — تنطوى على غالبية الرزق ، ففى الحديث النبوى الشريف :

— « عليكم بالتجارة فان فيها تسعة أعشار الرزق » (رواه أحمد)

— « التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة » • (رواه الترمذى)

ومما تجدر الاشارة اليه أنه كان للتجارة دور كبير فى انتشار الدين الاسلامى ، حيث حمل التجار والملاحون رسالة الاسلام الى أقطار بعيدة • وفى نفس الوقت كانت التجارة وسيلة لانتشار الثقافة الاسلامية بمظهريها المادى والمعنوى • وهكذا كانت التجارة والملاحة جناحى الاسلام فى الربط المكين بين أقطار المسلمين خلال العصور المختلفة ، على نحو شارك فى اقامة البناء الاجتماعى المشترك بخصائصه الاسلامية • كما كانت الجزيرة العربية ذاتها — الموطن الأصلى للاسلام — منطقة « وصل » بين أطراف العالم ، عندها تلتقى القارات الثلاث فى العالم القديم •

ولم يكن الأمر مجرد « وسط جغرافى » اتصالى بين أطراف العالم الاسلامى ، وانما كانت جماعات المسلمين — حتى فى الجهات النائية من أطراف العالم — لم تنعزل فى حياتها أو ثقافتها عن الوطن الأم للاسلام ، سواء فى التجارة أو فى تواصل الأرحام ، بمعنى أن الاسلام وسيلة « للتواصل الاجتماعى » بأوسع معانيه • ومن هنا كان التماسك الحيوى والثقافى بين المسلمين فى مختلف الأقطار ، بل ومن هنا كان التفاعل الاجتماعى بين الجماعات الاسلامية البيضاء

والسمراء فى مختلف المناطق الحارة والباردة والمعتدلة ، وأصبح هـذا التفاعل قواما للطابع الحضارى الاسلامى على مر العصور .

* * *

الجـانب الانسـانى فى رسـالة الاسـلام

يلفت القرآن الكريم نظرنا الى أن الأنبياء الذين بعثهم الله دعاة الى توحيده ، وكان أول نداء لهم الى أقوامهم أن يعبدوا الله ولا يشركوا به ، لم تهمل دعوتهم الجانب الانسـانى ، بل عملت على الاصلاح ومقاومة الفساد والانحراف . (١٠)

فهذا هود عليه السلام — كما ينكر على قومه الشرك بالله — ينكر عليهم العبث والانحراف والبطش والجبروت ..

« أتبنون بكل ريع آية تعبثون . وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون . واذا بطشتم بطشتم جبارين » . (الشعراء : ١٢٨ — ١٣٠)

وصالح يحذر قومه من الطغاة المفسدين . .

« فاتقوا الله وأطيعون . ولا تطيعوا أمر المسرفين . الـذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون » . (الشعراء : ١٥٠ — ١٥٢)

ولوط يقول لقومه :

● **« أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين » .**
(الأعـراف : ٨٠)

● **« أتأتون الذكران من العالمين . وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم ، بل أنتم قوم عادون » .** (الشعراء : ١٦٥ — ١٦٦)

وشعيب يقول لقومه :

« يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ، ولا تنقصوا المكيـال والميزان ، انى أراكم بخير وانى أخاف عليكم عذاب يوم محيط . ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسـط ، ولا تبخسوا النـاس أشياءهم

---

(١٠) يوسف القرضاوى ، **الخصائص العامة للاسلام** . ص ٦٢ — ٦٣ .

ولا تعثوا فى الأرض مفسدين • بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين ، وما أنا عليكم بحفيظ » • (هود : ٨٤ — ٨٦)

وهكذا نجد دعوات الرسل •• لم تنفصل عن مشكلات البشر ، ولم تغفل أحوال المجتمع الانسانى ، وما تتطلبه من علاج واصلاح •• ولكن ما موقف دعوة الاسلام من الجانب الانسانى ؟ !

ان كل دارس للاسلام فى كتابه وسنة رسوله ، يتضح له بجلاء أنه وجه عناية بالغة الى « الجانب الانسانى » ، وأعطاه مساحة رحبة من رقعة تعاليمه وتوجيهاته وتشريعاته • واذا نظرنا فى الفقه الاسلامى وجدنا « العبادات » لا تأخذ أكثر من الثلث فى مجموعه ، والباقى يتعلق بأحوال الانسان من أحوال شخصية ومعاملات وتشريعات للفرد وللأسرة وللمجتمع وغيرها من الجوانب الانسانية •

واذا تأملنا العبادات الكبرى نفسها ، وجدنا احداها « انسانية » فى جوهرها ، وهى « الزكاة » ، حيث تؤخذ من الانسان الغنى لترد على الانسان الفقير ، فهى للأول تزكية وتطهير ، وللثانى اغناء وتحرير • والعبادات الأخرى لا تخلو من جوانب انسانية نلمحها فى ثناياها ••

فالصلاة عون للانسان فى معركة الحياة ، وتنهاه عن فعل الفاحشة ، قال تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة •• »

(البقرة : ١٥٣)

« وأقم الصلاة ، ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر •• »

(العنكبوت : ٤٥)

والصوم تربية لارادة الانسان على الصبر فى مواجهة المصاعب ، وتنمية لمشاعره على الاحساس بآلام غيره ، فيسعى الى مواساته • والقرآن الكريم يذكر ثمرة الصوم بقوله :

« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » • (البقرة : ١٨٣)

والحج مؤتمر ربانى أنشأه ذعا الله فيه عباده المؤمنين :

« ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات .. »
(الحج : ٢٨)

« الحج أشهر معلومات ، فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج .. » . (البقرة : ١٩٧)

واذا ما تأملنا المنهاج الأخلاقى للاسلام نجد أنه يحث المسلم على الآتى (١١) :

ـ أدب الحديث حتى يعود لسانه الجميل من القول واللفظ العفيف ، حتى يحفظ مودة الأصدقاء وينتصر على الأعداء . فعلينا أن نستمسك بآداب الحديث فى تعاملنا بعضنا مع البعض الآخر ، وأن نمسك عن بذىء اللفظ ، فالكلمة الطيبة صدقة . قال تعالى :

« ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » . (فصلت : ٣٤)

ـ والاسلام دين سمح ، يشجع على العفو والصفح والاعراض عن الجاهلين ، أى التسامح . فبالحلم والتسامح تدوم الأخوة بين المسلم وأخيه المسلم ، كما أن الرحمة تجعلنا نرق لآلام الآخرين ونقدر ظروفهم . فالعفو من شيم الكرام . قال تعالى :

« وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فمن عفا وأصلح فأجره على الله ، انه لا يحب الظالمين » . (الشورى : ٤٠)

ـ والاسلام يحثنا على التمسك بالحلم وضبط النفس ، وألا يعصف الغضب بنفوسنا فنقدم على أعمال لا تحمد عقباها ونندم عليها فيما بعد . وعلى قدر ما نضبط أنفسنا ، ونكظم غيظنا ، ونسيطر على أقوالنا وأفعالنا ، ونتجاوز عن هفوات غيرنا ونرثى لعثراتهم ، تكون منزلتنا عند الله والناس . قال تعالى :

« .. والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين » .
(آل عمران : ١٣٤)

---

(١١) سيد عبد الحميد مرسى ، **الدين المعاملة** ، ص ٢٩ ـ ٣٠ .

ومن الحديث النبوى الشريف :

« ان الرفق لا يكون فى شىء الا زانه ، ولا ينزع من شىء الا شانه » . (رواه مسلم)

— والعدل أساس الملك .. ان العدالة فى الأقوال والأفعال مطلوبة فى كل مكان وزمان . ولقد قرر الاسلام مبدأ المساواة الانسانية ، بمعنى أنه لا فضل لشخص على آخر الا بالعمل الصالح ، مع مراعاة مبدأ تكافؤ الفرص للجميع .. فلا تحيز ولا تحامل ، والكل سواء ، فلا وساطة ولا قرابة ولا صداقة تبيح أن نهدر حق شخص كى نجامل أو نخدم آخر . قال تعالى :

« .. واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى » . (الأنعام : ١٥٢)

— ان الصدق فضيلة ، والكذب رذيلة .. فالتمسك بالصدق فى كل شأن ، وتحريه فى كل قول وفعل ، والالتجاء اليه فى كل حكم ، دعامة أساسية فى خلق المسلم . وعلينا أن نتحرى الصدق دائما ، وألا نلجأ للكذب لتبرير أخطائنا . وقد يلجأ بعض الناس الى الكذب للمزاح والتفكه على الآخرين والترويح عن النفس ، ولكن الاسلام لا يرضى بهذا الأسلوب فى استخدام الكذب ، حيث ان اللهو بالكذب كثيرا ما ينتهى بالعداوات . قال تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » .
(التوبة : ١١٩)

وفى الحديث النبوى الشريف :

« يطبع المؤمن على الخلال كلها ، الا الخيانة والكذب » .
(رواه أحمد)

« ويل للذى يحدث بالحديث ليضحك منه القوم فيكذب ، ويل له ، ويل له » . (رواه الترمذى)

— ويستلزم الاسلام أن يكون المسلم ذا ضمير يقظ ، تصان به حقوق الله وحقوق الناس ، ومن ثم أوجب على المسلم أن يكون

« أمينا » • والأمانة واسعة الدلالة ، وهي ترمز الى معان شتى تستهدف شعور الانسان بتبعته في كل أمر يوكل اليه ، وادراكه الأكيد بأنه مسئول أمام ربه على النحو الذى فصله الحديث النبوى الكريم : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالامام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسئولة عن رعيتها ، والخادم في بيت سيده راع وهو مسئول عن رعيته » • (رواه البخارى)

— وعلى كل مسلم أن يحترم كلمته ووعوده ، مما يستلزم قوة الذاكرة وقوة العزيمة • وعلينا أن نتذكر ماضينا حتى ننتفع به في حاضرنا ومستقبلنا • ان اخلاص النية والقلب والضمير للخالق سبحانه وتعالى ترتفع بمنزلة العمل الدنيوى فتجعله في مرتبة العبادة • قال تعالى :

« وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ، ان الله يعلم ما تفعلون » •

(النحل : ٩١)

— والصبر مفتاح الفرج •• فعلينا أن نوطد أنفسنا على احتمال المكاره دون ضجر ، وانتظار النتائج مهما بعدت ، ومواجهة الأعباء مهما ثقلت ، دون شك أو ريبة في أن بعد العسر يسرا ، والصبر عن المعاصى والادبار عن الشهوات لا يتأتى الا لصبور • قال تعالى :

« ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ، وبشر الصابرين • الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون • أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ، وأولئك هم المهتدون » • (البقرة : ١٥٥ — ١٥٧)

وقال عليه الصلاة والسلام : « الصبر ضياء » • (رواه مسلم)

— ولقد أوصى الاسلام بالحياء ، وجعل هذا الخلق السامى من أبرز ما يتميز به المسلم من فضائل •• وينبغى اتباع الحياء في الكلام ، ومراعاة الاقتصاد في الحديث بالمحافل والاجتماعات ، فالأفضل ألا يكون الحديث في غير موضعه ومراعاة استخدام الألفاظ السليمة دون

بذاءة أو فحش أو سباب ، مع توخى الدقة فى اختيار الكلمات المناسبة للموقف ، ولكل مجال مقال ، واحترام ذوى المكانة والفضل والأكبر سنا • وفوق كل هذا الحياء من الله سبحانه وتعالى ، خالق كل شىء ، فإنه — سبحانه — قد أسبغ علينا نعمة الحياة ورزقنا من فضله •

وفى الحديث النبوى الكريم :

« ان لكل دين خلقا ، وخلق الاسلام الحياء » •

(رواه مالك)

« الحياء من الايمان والايمان فى الجنة ، والبذاء من الجفاء والجفاء فى النار » • (رواه أحمد)

— المرء قليل بنفسه كثير باخوانه •• فالانسان كائن اجتماعى لا يستطيع أن يحيا بمعزل عن الآخرين ، فالشعور بالانتماء يشكل احدى الحاجات الأساسية للانسان •• فهو منذ نشأته ينتمى الى الأبوين ، والى الاخوة ، والى الأسرة ، والى رفاق الدراسة ، والى زملاء العمل ، والى المجتمع بوجه علم • والاخاء أساس العلاقات بين البشر ، والأثرة تميت القلوب وتبلد الشعور الانسانى ، وتجعل من الشخص عبدا لنزواته وأهوائه • قال تعالى :

« •• واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا •• » • (آل عمران : ١٠٣)

— وأخيرا وليس آخرا فالاتحاد قوة •• ان ائتلاف القلوب والمشاعر ، واتحاد الغايات والمناهج من ألزم صفات المسلمين ، واجتماع الكلمة وتوحيد الصفوف من أهم الضرورات لقوة المجتمع واستمراره وصموده أمام أعدائه[١٢] • قال تعالى :

« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله •• » • (التوبة : ٧١)

* * *

---

(١٢) سيد عبد الحميد مرسى ، **الدين المعاملة** ، (جدة : ادارة تدريب التسويق ، الخطوط الجوية العربية السعودية ، ١٩٨٥) ص ٢٩ — ٣٠ .

الفـــرد والمجتمع

أولا ــ الفـــرد :

الفرد هو وحدة الدراسة الاجتماعية والنفسية ، ولا تنطبق عليه الصفة الاجتماعية اذا لم يعش فى مجتمع ، فمن الضرورى أن يعيش الانسان فى المجتمع اســـتجابة لميله الطبيعى الى الحياة الاجتماعية ، باعتبار أن الانسان المنعزل فى الكون مجرد فرض غير قائم • فالانسان بمقتضى حاجاته ودوافعه المتعددة ، التى تستهدف حفظ النوع من خلال الانجاب والتعامل مع الآخرين والتفاعل معهم ، نجده يعمل على اشباع الحاجة الى الانتماء للجماعات المختلفة حتى يحقق أهدافه فى اطار أهداف الجماعة التى ينتمى اليها كالأسرة والمدرسة والعمل وما أشبه • وهو يبحث دائما عن المـــال والجاه والولد ، قال تعالى :

- **« أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا »** •

(مريم : ٧٧)

- **« المـــال والبنون زينة الحياة الدنيا ٠٠ »** • (الكهف : ٤٦)

واذا كان الانسان يولد فردا ويعود الى ربه فردا ، لقوله تعالى :

« ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم ، وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء ، لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون » • (الأنعام : ٩٤)

غير أن الانسان الفرد يعيش طوال حياته ــ أى من المهد الى اللحد ــ داخل جماعات صغيرة ، فاذا انتهى أجله يقف أمام الخالق سبحانه يوم الحشر فردا ، لقوله تعالى : **« ونرثه ما يقول ويأتينا فردا »** •

(مريم : ٨٠)

وهـــذا زكريا لم يســـتطع أن يعيش فى المجتمع فردا منفردا ، ومن ثم دعا ربه ألا يذره فردا ، لقوله تعالى :

« وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين •

فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه ، انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا ، وكانوا لنا خاشعين » .

(الأنبياء : ٨٩ — ٩٠)

ان الانسان لا يستطيع أن يعيش الا في مجتمع من بني جنسه ، حيث يتبادل الأفكار والعلاقات والمعلامات مع أفراده ، وان كانت هناك حالات استثنائية ينعزل فيها الفرد عن المجتمع — مثل الزهاد والمتصوفين، وحالات النفي والاعتقال — فان هـذه الحالات الانعزالية ليست دائمة وانما تنتهي بانتهـاء الظروف التي أدت اليها . والفـرد — بالمعنى الاجتماعي — هو الانسان بما له من حقوق وعليـه من واجبات في المجتمع ، ويكون الفـرد في المجتمع عضوا في جماعات متنوعة على المستوى المحلي أو القومي أو الدولي .

ومن هنا فان الفرد لا يتصور وجوده الا في اطار مجتمع . ولذلك يقال ان وجود المجتمع سابق على وجود الفرد ، بمعنى أنه يولد في مجتمع ، وبالتحديد في أسرة — أي جماعة — ولهـذا يقال بأسبقية الجماعة . ان الفرد يولد وهو في حالة ضعف كامل لا حول له ولا قوة ، وأنه بفضل التربيه والتنشـئة الاجتماعية في اطار المجتمع يتشـكل حضاريا . وعلى ذلك فان الأسرة ، وكل المؤسسات الاجتماعية والتربوية في المجتمع ، هي التي ترفع الفرد الى المستوى الحضاري اللائق في المجتمع . وبفضل الدور الذي تقوم به الأسرة والمؤسسات التربوية تطغى الطبيعة الاجتماعية للفرد على الطبيعة الفيزيقية ، وبذلك يمثل كل فرد نوعا من الثقافة يكتسبها من طبيعته الاجتماعية ، بكونه ينتمي الى مجتمع معين له شكل عام ، قد يكون متخلفا أو ناميا أو متقدما .

ويقتضي الاسلام ضرورة توضيح صلة الفرد بربه ، ووضع أصول تنظيم العلاقات الانسانية ، على أن يكون ذلك مسبوقا بخشيتهم للخالق سبحانه واستشعارهم لعظمته ، وأنه يعلم من الانسان سره كما يعلم منه علانيته . وبذلك تستقر في نفوس الأفراد مبادىء الرحمة والمحبة والتعاون ، وتبادل المنافع وتوحيد المشاعر والأحاسيس . ومن هنا يرى

الفرد نفسه وحدة من وحدات المجتمع ، فيبذل من نفسه وماله وراحته ما يحقق عضويته فى المجتمع[١٣] .

* * *

ثانيا ــ الجمــاعة :

من وجهــة نظر علم الاجتماع ، فان الجمــاعة هى الأداة التى يستخدمها المجتمع فى تنشئة أو تطبيع أفراده . وتعرف الجماعة بأنها « شخصان أو أكثر مشتركان فى المبادىء والقيم والمعايير النابعة منهم ، ويكون لكل منهم دور نحو الآخر من أجل تحقيق هدف معين يؤدى الى اشــباع حاجاتهم الاجتماعية ، ويكون وجودهم معا خاضعا لقواعد اجتماعية محددة بصورة تسمح بأن يتوقع كل من أفرادها سلوك الآخر توقعا واضحا بدرجة من الدقة »[١٤] . ومن هذا التعريف ينبغى أن تتوافر فى الجماعة العناصر التالية :

١ ــ أن يكون تكوين الجماعة خاضــعا لقواعد اجتماعية معينة : مثل عقود الزواج وما يتصل بها من عرف وعادات وتقاليد ، أو قواعد توزيع التلاميذ على الفصول باعتبار الفصل جماعة دراسية ، أو قواعد تشكيل الفرق الرياضية ، أو قواعد توزيع العاملين داخل المؤسسات الحكومية . فهذه القواعد تحدد حقوق وواجبات كل طرف من أطراف الجمــاعة .

٢ ــ أن يتوافر شرط التفاعل الاجتماعى المباشر : بحيث يكون هــذا التفاعل شرطا من شروط تكوين الجماعة . وقد يكون هــذا اتصالا أو تنافسا أو صراعا أو توافقا وتعاونا أو تنشئة اجتماعية .

٣ ــ أن يكون لكل من أفراد الجماعة دور محدد : فالأب فى جماعة الأسرة له دور واضح باعتباره راعيا لتلك الأسرة ، والأم لها دور واضح فى رعاية الأسرة ، والأبناء لهم أيضا دور وهو تلقى أسس التربية فى الأسرة وأسس التعليم فى المعــاهد التعليمية وتحقيــق النجاح فى الدراسة والوصــول الى درجة معينة من النضج الاجتماعى اللازم للمواطن الصالح .

---

(١٣) زيدان عبد الباقى ، **علم الاجتماع الاسلامى** ، ص ٧١ ــ ٧٣

(١٤) **المرجع السابق** ، ص ٧٨ ــ ٧٩ .

٤ — **شرط الهدف** : فينبغى أن يكون لكل جماعة هدف تسعى الى تحقيقه ، مثل جماعة العمل التى يكون هدفها تحقيق الكفاية الانتاجية ، ومثل جماعة الأسرة التى يتحقق فيها التوافق والوئام واستمرار النوع وتحقيق العواطف والتكيف النفسى والاجتماعى لأفرادها .

٥ — **شرط التوقع** : وهو يستند الى حقوق وواجبات أعضاء الجماعة التى تحددها قواعد تكوينها .. فالزوجة التى لا تقوم بواجباتها المنزلية فى حينها تتوقع من زوجها المؤاخذة أو التأنيب ، والعامل أو الموظف الذى يقصر فى أداء عمله يتوقع من رئيسه اللوم أو التأنيب أو العقاب .

وترتيبا على ذلك فان الانسان كائن اجتماعى لا يستطيع العيش بمعزل عن الآخرين فى المجتمع ، وانما من الضرورى أن يعيش فى جماعة أو جماعات حتى يستطيع اشباع مختلف حاجاته الاجتماعية . ولكن الجماعة لا تقوم باشباع حاجات الفرد وتحقيق رغباته دون شرط أو قيد ، وانما تضع له القواعد والأسس التى يتم فى نطاقها اشباع دوافعه وتحقيق رغباته . ومن ثم فان الفرد — اذا أراد اشباع دوافعه وحاجاته — يقوم بعدة عمليات للتوافق الاجتماعى مع الأوضاع السائدة فى الجماعة . من هنا تنعكس تأثيرات الجماعة على شخصيته ، أو بمعنى آخر تبدأ الجماعة (الأسرة) منذ لحظة ولادته فى تشكيل طبائعه ، حتى تأخذ كل منها السمة المعينة التى تميزه عن غيره . فالجماعة تساعد الفرد — منذ لحظة وصوله الى العالم الواقعى — على تحويل قدراته الفطرية الى استعدادات ومهارات — طبقا لمستواها الحضارى — حتى يصبح له شخصية مستقلة متميزة بخصائص نفسية واجتماعية وبدنية وعقلية . وعندما يصل الفرد الى درجة من النضج العقلى والنفسى والاجتماعى ، وتتوافر لديه القدرات العقلية العليا (الادراك — التذكر — الاستدلال — التفكير الابتكارى — التفكير الناقد — تكوين المفهوم — الحكم) ، فانه قد يعمل على التأثير فى المجتمع بصورة ما ، مثل كثير من الزعماء والعلماء والمبتكرين .

* * *

ثالثا ــ المجتمــع :

يتكون « المجتمع » من بنى الانســان فى جهودهم المشــتركة والتفاعل المتبادل ، بمعنى أن المجتمع يسمح بنوع من الاكتفاء الذاتى فى الغالب • فالجماعة لا تسمح ــ بمجالاتها الضيقة ــ باشباع كل حاجات الانســان بالمستوى الحضارى المعروف ، ما لم تتكامل تلك الجماعات مع غيرها من المجتمعات المحلية ، والتى فى مجموعها تشــكل المجتمع بالصورة التى تضم النظم الاجتماعية المختلفة ، التى تستطيع بامكاناتها المتعددة الفسيحة أن توفر كل متطلبات الاشباع الحضارى للانسان • وعلى ذلك فانه اذا كانت الثقافة هى طريق المجتمع وأسلوبه ، فان المجتمع هو الحياة عينها •• ذلك أن المجتمع حقيقة جوهرية فى حياة الانسان ، ولا يستطيع بدونه أن يشبع دوافعه اشباعا حضاريا ملائما • فمما لا ريب فيه أن المجتمع يجعل الحياة الاجتماعية ميسورة ، بل ان المجتمع هو الذى يغرس فى الفرد القيم والمعايير والمبادىء الاجتماعية والأخلاقية ، ويحدد أدواره وأنماط سلوكه ، ومن ثم فان وجود الفرد وكيانه يتوقف على وجود المجتمع • وعلى ذلك فان أهمية المجتمع للفرد وأهمية الفرد للمجتمع لا تحتاجان الى تأكيد •

مما سبق يمكن تعريف المجتمع « كجماعة منظمة من الناس ومرتبطة بروابط تضامنية فى شكل أنساق للحياة ، تقام لتوفير امكانية التفاعلات الطبيعية من خلال نظم تضمن لهم الدفاع عن أنفسهم وتوفير متطلبات الحياة لهم »[١٥] • وينطوى هــذا التعريف على بعض المفاهيم التى تتطلب تناولها بالدراسة ، ومن أهمها :

١ ــ التنظيم :

ان المجتمع ، مهما كان مستوى تحضره ــ بدائيا كان أو متخلفا أو متحضرا ، فمن الضرورى أن يظهر فيه نمط من الحياة الاجتماعية يميزه عن غيره من المجتمعات • فالحياة الاجتماعية تتطلب وجود قواعد

---

(١٥) **المرجع السابق** ، ص ٩٤ ــ ٩٥ .

وتنظيمات لتوجيه أنماط السلوك ، ولتوقيع الجزاء على المخالفين للنظام أو المعتدين على النظـام الاجتماعى .. ووجـود مثل تلك القواعد والتنظيمات فى المجتمع « ضرورة اجتماعية » لتيسـير القيام بأعباء الأعمال والواجبات الناتجة عن خاصية الانتماء للمجتمع بشكل متكامل .

وترتيبا على ذلك ، فان كل جماعة من الناس لا تملك تلك القواعد والتنظيمات ليست أهلا لأن يطلق عليها اصطلاح « مجتمع » ، ما دامت قد فشلت فى وضع القواعد التى تنظم حياتها الاجتماعية ، وهى تعتبر منظمة اجتماعية غير فعالة . ومن هنا فان الجماعة الجديرة بأن توصف « بالمنظمة الاجتماعية » هى التى يعرف كل عضو فيها ما هو متوقع منه ، وما هو متوقع من الجماعة ، ومن كل عضو ، وبالتالى يؤدى دوره ، كما تؤدى الجماعة دورها ، فى وضوح كامل وفى تكامل وتساند . وأن استمرار الأخذ بتلك القواعد والتنظيمات يتحول على المدى البعيد الى عادات مكتسبة ، بحيث تسمح للجميـع بأداء واجبات متعددة بطريقة لا شعورية ، فى الوقت الذى يوجه فيه انتباههم الى أعمال أكثر أهمية .

٢ ــ التضـامن :

لا يقوم المجتمع ــ كما أوضحنا ــ بدون روابط معينة تربط الأفراد والجماعات بعضها بالبعض الآخر داخل المجتمع . ومن أهم هـذه الروابط فى المجتمع رابطة الزواج أى روابط الاقتران والتضامن التى تتمثل فى الأسرة أو التى تقوم عليها الأسرة . وترجع أهمية تلك الروابط الى أنها تنطوى على أسس بيولوجية ونفسية بجوار الأسس الاجتماعية . وبالاضافة الى ذلك ، هناك الروابط القانونية ، وروابط الجوار والزمالة وما أشبه ، وترجع قوة هـذه الروابط الى الأسس الاجتماعية التى تقوم عليها . ومن هنا فان معرفتنا « للبناء الاجتماعى » يمكن الاستدلال عليها من معرفتنا لأهمية تلك الروابط .

وكلمة « البناء » من الكلمات العربية الأصيلة ، وان استخدمت بعدة معان .. فها هى امرأة عوف الشيبانى تنصح ابنتها ليلة بنائها ــ أى زفافها ــ نصيحة سيدة حكيمة وخبيرة بالنفس البشرية ونوازعها

وأبعادها الاجتماعية ، أى خبيرة بأوضاع « البناء الأسرى » ، مما يدل على قدرتها الفائقة فى التوجيه الاجتماعى ، فمما قالته هذه السيدة لابنتها :

« أى بنية ، انك فارقت بيتك الذى منه خرجت ، وعشك الذى فيه درجت ، الى رجل لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فكونى له أمة ، يكن لك عبدا ، واحفظى له خصالا عشرا يكن لك زخراً ، وهى :

— أما الأولى والثانية : فالخشوع له بالقناعة ، وحسن السمع والطاعة .

— وأما الثالثة والرابعة : فالتفقد لموضع عينيه وأنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم منك الا أطيب ريح .

— وأما الخامسة والسادسة : فالتفقد لوقت طعامه ومنامه ، فان تواتر الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة .

— وأما السابعة والثامنة : فالاحتراس بماله ، ورعاية جسمه وعياله .

— وأما التاسعة والعاشرة : فالحرص على شرفه فى حضوره وغيبته والحرص على سمعته .

ثم تختتم النصيحة الثمينة بقولها : « واعلمى أنك لا تبلغين ما تحبين حتى تؤثرى رضاه على رضاك ، وهواه على هواك ، فيما أحببت أو كرهت .. »[١٦] .

وقد استخدم الرسول عليه الصلاة والسلام مفهوم « البناء » بما يفيد معنى « البناء الاجتماعى » فى مجال توضيحه للعلاقات الاجتماعية التى تربط المجتمع الاسلامى مشبهاً اياها بالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا . ففى الحديث النبوى الكريم : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » . (رواه أحمد ومسلم)

* * *

---

(١٦) زيدان عبد الباقى ، **المرأة بين الدين والمجتمع** . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٧ ، ص ٩٩ .

مظاهر التكريم الالهى للانسان

الانسان — فى نظر الاسلام — مخلوق متميز ، مكرم ، ميزه الله وكرمه وفضله على كثير من خلقه • ونذكر فيما يلى بعض مظاهر التكريم الالهى للانسان[١٧] :

١ — استخلافه فى الأرض :

لقد كرم الاســـلام الانسان ، فاعتبره خليفة الله فى الأرض ، وهى منزلة أشرأبت اليها أعناق الملائكة ، فلم يعطوها ، ومنحها الله للانسان • قال تعالى :

« واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نســبح بحمدك ونقدس لك ، قال انى أعلم ما لا تعلمون • وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين • قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا ، انك أنت العليم الحكيم • قال يا آدم أنبئهم بأســمائهم ، فلما أنبأهم بأســمائهم قال ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون » •

(البقرة : ٣٠ — ٣٣)

فلقد كرم الله الانسان بالخلافة فى الأرض ، وهيأه لها بالعقل والعلم الذى تفوق به على الملائكة •

* * *

٢ — خلقه فى أحسن تقويم :

وأعلن الاســـلام كذلك أن الله كرم الانسان بالصـــورة الحسنة وبالخلقة الحسنة ، فقال تعالى :

« لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم » • (التين : ٤)

« •• وصوركم فأحسن صوركم •• » • (التغابن : ٣)

---

(١٧) يوسف القرضاوى ، **الخصائص العامة للاسلام** • ص ٦٧ — ٧٧

وكان النبى — ﷺ — يكرر هـذا الدعاء فى سجوده : « سجد وجهى للذى خلقه وصوره ، وشق سمعه وبصره ، فتبارك الله أحسن الخالقين » .

* * *

٣ — تميزه بالعنصر الروحى :

لقد تميز الانسان بالروح العلوى الذى أودعه الله بين جنبيه . فهو قبس من نور الله ، ونفحة من روح الله ، استحق به أن تنحنى له الملائكة اجلالا واكبارا لمقدمه بأمر الله ، كما قال تعالى للملائكته :

« .. انى خالق بشراً من طين . فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين » . (سورة ص : ٧١ — ٧٢)

ولم يكن هـذا التكريم والاحتفال لشخص آدم عليه السلام ، وانما كان تكريما للنوع الانسانى فى شخصه . فان الله تعالى ميزهم بما ميزه من مواهب العقل والعلم والروح ، واستخلفهم كما استخلفه فى الأرض . ولهذا أعلن القرآن كرامة البشر كافة حين قال :

« ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

(الاسراء : ٧٠)

وهذا كله يثبت أن الانسان نوع متفرد متميز عن سائر المخلوقات ، فانها — وان شابهته فى عناصر تكوينها الطينى الجسـمى — تخالفه ويخالفها فى التكوين المعنوى . فهى لم يكرمها الله بما كرم به الانسان من الروح والعقل ، ولأنها لم تكلف ما كلفه من عمارة الأرض وخلافة الله فيها . وهى مجرد أدوات له فى مهمته ليسخرها فى حاجته .

* * *

٤ — تميزه بالعقل والتفكير :

يشترك الانسان مع الحيوان فى وظيفة الادراك الحسى ، ولكن الانسان يتميز عن سائر المخلوقات بما وهبه الله تعالى من عقل ، ومن قدرة على التفكير تمكنه من النظر والبحث فى الأشـياء والأحداث ، واستخلاص الكليات من الجزئيات ، واستنباط النتائج من المقدمات ..

ان قدرة الانسان على التفكير هى التى جعلته أهلا للتكليف بالعبادات ، وتحمل مسئولية الاختيار والارادة ، وهـذا هو ما جعله أهلا لخـلافة الله تعالى فى الأرض .

وتعتبر المعلومات التى يستمدها الانسان — عن طريق الادراك الحسى فى المرحلة الأولى من حياته — المـادة التى يستعين بها فيمـا بعد .. فهو يستعيدها فى ذاكرته ، ويتخيلها ، ويقارنها بعضها بالبعض الآخر ، ويصنفها وينظمها ويحللها بما يساعد فى الكشف عن معلومات جديدة . وتضاف المعلومات الجديدة التى يتوصل اليها الانسان — خلال عملية التفكير — الى ذخيرة معلوماته السـابقة . ويقوم الانسان بصفة مستمرة بعملية تنظيم المعلومات السابقة ، والكشف عن معلومات وحقائق جديدة .. وهـذا هو أساس تطور البحث العلمى ، وسبب ما يحدث من تقدم مستمر فى العلوم المختلفة .

ولقد حث الله تعالى الانسان على التفكير فى الظواهر الكونية المختلفة ، وتأمل بديع صنعه ، ومحكم نظامه .. كما حثه على تحصيل العلم ومعرفة شرائع الله وقوانينه فى جميع شئون الحياة . واننا نجد هـذه الدعوة الى الملاحظة والتفكير والتأمل فى أكثر من موضع فى القرآن الكريم ، قال تعالى :

● **« قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق .. »**
(العنكبوت : ٢٠)

● **« قل انظروا ماذا فى السموات والأرض .. »** .
(يونس : ١٠١)

● **« أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها ، فانها لا تعمى الأبصـار ولكن تعمى القلوب التى فى الصـدور »** .
(الحج : ٤٦)

● **« أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت . والى السماء كيف رفعت . والى الجبال كيف نصبت . والى الأرض كيف سطحت . فذكر انما أنت مذكر »** .
(الغاشية : ١٧ — ٢١)

● « ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيهـا من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » ·

(البقرة : ١٦٤)

● « وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانيـة وجنات من أعناب والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه ، انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه ، ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون » ·

(الأنعام : ٩٩)

● « فلينظر الانسان الى طعامه · أنا صببنا المـاء صبا · ثم شققنا الأرض شقا · فأنبتنا فيها حبا · وعنبا وقضبا · وزيتونا ونخلا · وحدائق غلبا · وفاكهة وأبا · متاعا لكم ولأنعامكم » ·

(عبس : ٢٤ — ٣٢)

● « أو لم يتفكروا فى أنفسهم ، ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى ·· » · (الروم : ٨)

● « فلينظر الانسان مم خلق · خلق من ماء دافق · يخرج من بين الصلب والترائب » · (الطارق : ٥ — ٧)

ويتضح حرص القرآن الكريم على دعوة الناس الى التفكير من ورود كثير من الآيات التى تتضمن مثل هـذه العبارات : « أفلا يعقلون » « أفلا تتفكرون » ، « لعلكم تعقلون » ، « لعلكم تتفكرون » ، « أفلا يتدبرون » ، « أفلا تتذكرون » ، « لقوم يعقلون » ، « لقوم يتفكرون » ·

وقد أوضح القرآن الكريم أهمية التفكير فى حياة الانسان ، ورفع من قيمة الانسان الذى يستخدم عقله وتفكيره ، وحط من شأن من لا يسـتخدم عقله وتفكيره بأن جعله أدنى درجـة من الحيـوان ، قال تعـالى :

« ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون » ·

(الأنفال : ٢٢)

« أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ، ان هم الا كالأنعام ، بل هم أضل سبيلا » . (الفرقان : ٤٤)

* * *

٥ ــ تسخير الكون لخدمة الانسان :

كان من تكريم الله للانسان ــ فى نظر الاسلام ــ أن جعل الكون كله فى خدمته ، وسخر لخدمته العوالم كلها .. السماء والأرض ، الشمس والقمر والنجوم ، الليل والنهار ، البحار والأنهار واليابس ، النبات والحيوان والجماد .. كلها مسخرة لخدمة الانسان ومصلحته وسعادته ، كرامة من الله له ونعمة منه عليه ، قال تعالى :

« الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره ، وسخر لكم الأنهار . وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار . وآتاكم من كل ما سألتموه ، وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ..» . (ابراهيم : ٣٢ ــ ٣٤)

« الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » .

(الجاثية : ١٢ ــ ١٣)

« ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة » . (لقمان : ٢٠)

ان الطاقات الكونيةكلها مهيأة ومبذولة للانسان ، لا يستعصى شىء منها عليه اذا تيسرت سبله ، وروعيت سنن الله فيه . فعليه أن يبذل جهده ويعمل فكره فى فتح مغاليقها ، والكشف عن خباياها ، حتى يستخدمها فيما يعود عليه وعلى الانسانية بالخير والسعادة . وخير مثال لذلك أن الانسان اكتشف تفتيت الذرة ، وفى هذا الكثير لخدمة السلام والانسانية ، وليس لشقاء الشعوب وتدميرها من خلال الحرب الذرية . ولقد انطلق الانسان يغزو الفضاء ، وهذا كشف علمى مثير لخدمة

العلم والبشرية ، وليس للتفوق العسكري أو السيطرة على الدول الأخرى وتهديدها .. وعلى الانسان أن يتوجه للخالق سبحانه بالشكر والعرفان على ما أسبغ عليه من نعم وسخر له من طاقات كونية لخدمته ، وألا يشرك به أحدا .

* * *

٦ ــ الغاء الوساطة بين الله والانسان :

لقد كان من دلائل تكريم الله للانسان فى نظر الاسلام أنه فتح له باب التقرب اليه سبحانه وتعالى أنى شاء ، ومتى شاء ، دون ما حاجة الى وسطاء يتحكمون فى ضميره ، ويقفون حجابا بينه وبين ربه . يقول الله تعالى مخاطبا رسوله الكريم :

«واذا سألك عبادى عنى فانى قريب ، أجيب دعوة الداع اذا دعان..»

(البقرة : ١٨٦)

ويقول فى آيات أخرى :

« وقال ربكم ادعونى أستجب لكم .. » (غافر : ٦٠)

« فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون » .

(البقرة : ١٥٢)

وفى الحديث القدسى عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم :

« يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدى بى ، وأنا معه اذا ذكرنى ، فان ذكرنى فى نفسه ، ذكرته فى نفسى ، وان ذكرنى فى ملأ ، ذكرته فى ملأ خير منهم ، وان تقرب الى شبراً ، تقربت اليه ذراعا ، وان تقرب الى ذراعاً ، تقربت اليه باعاً ، وان أتانى يمشى ، أتيته هرولة » .

(رواه البخارى ومسلم والترمذى)

لا حاجة بالانسان اذن الى وساطة كاهن ، يصل عن طريقه الى الله ــ ولا يقبل الله منه عبادة بغير توسطه ولا يستطيع التوبة من ذنب ارتكبه الا بالجلوس أمامه فى ذل وخنوع على كرسى الاعتراف المشهور . فليس فى الاسلام كاهن ولا كهنوت .. وبهذا يستطيع الانسان

المسلم أن يقرع باب ربه ويدعوه متى شاء ، وأين شاء ، بعيدا عن سيطرة المدعين للسمسرة بين الله وعباده . فهو يستطيع أن يدعو ربه متى شاء ، فيجده أقرب اليه من حبل الوريد ، دون وسيط أو شفيع . وقد قال تعالى :

« واذا سألك عبادى عنى فانى قريب .. » (البقرة : ١٨٦)

ويستطيع أن يصلى ويتعبد فى أى مكان ، وحده أو مع غيره ، دون قيود ، فالأرض كلها له مسجد ، والله ـ سبحانه ـ قريب منه حيث كان :

« .. فأينما تولوا فثم وجه الله .. » (البقرة : ١١٥)

ان باب الله مفتوح على مصراعيه لكل من دعاه ورجاه ، ووقف على عتبته ضارعا مستغفرا ، وان اقترف قبل ذلك كبائر الاثم وفواحش الذنوب . يقول تعالى :

« والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » . (آل عمران : ١٣٥)

وفى الحديث القدسى : عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « قال الله : يا ابن آدم ، انك مادعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى ، يا ابن آدم ، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ولا أبالى ، يا ابن آدم ، انك لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ، ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا ـ لأتيتك بقرابها مغفرة » .

(رواه الترمذى)

وفى القرآن الكريم :

« قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا ، انه هو الغفور الرحيم » .

(الزمر : ٥٣)

فما أجمل وأرق هذا النداء « يا عبادى » ، فرغم خطاياهم واسرافهم على أنفسهم ، لم يطردهم من ساحته ، ولم يحرمهم شرف عبوديته ، وأضافهم الى ذاته المقدسة ، ايناسا لهم ، وتحببا اليهم .

* * *

٧ ــ الاعتراف بالكيان الانساني كله :

وكان من تكريم الاسلام للانسان أن اعترف به كله كما فطره الله .. جسمه ، وروحه ، وعقله ، وقلبه ، وارادته ووجدانه .. فلم يغفل حق جانب من هذه الجوانب لحساب آخر .

ــ لهذا أمره بالسعي في الأرض والمشي في مناكبها ، والأكل من طيباتها والاستمتاع بزينة الله التي أخرج لعباده فيها ، وحثه على النظافة والتجميل والاعتدال ، ونهاه عن المسكرات والامتناع عن كل ما يضره ، وفاء بحق جسمه .

ــ وأمره بعبادة الله وحده ، والتقرب اليه بأنواع العبادات .. من صلاة وصيام وصدقة وزكاة ، وحج ، وذكر ودعاء ، وانابة وتوكل ، وخوف ورجاء ، وبر واحسان ، وجهاد في سبيل الله وغير ذلك من ألوان العبادة الظاهرة والباطنة ، وفاء بحق الروح .

ــ وأمره بالنظر والتفكير في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء ، وفي مصائر الأمم ، وسنن الله في المجتمعات . كما أمره بطلب العلم والتماس الحكمة من أي وعاء خرجت منه ، كما أنكر عليه الجمود والتقليد للآخرين ، كل ذلك وفاء بحق العقل .

ــ ولفته الى جمال الكون بأرضه وسمائه ونباته وحيوانه ، وما زانه الله به من مظاهر الحسن والبهجة ، ليشبع حاسة الجمال في نفسه ، ويشعر في أعماقه بعظمة الخالق سبحانه ، الذي أحسن كل شيء خلقه . كما أنه أباح له التمتع بألوان من اللهو البريء وترويح النفس ، دفعا للسآمة عنها ، فانها تمل كل تمل الأبدان ، وتتعب كما تتعب ، . وفي هذا رعاية لجانب الوجدان والعاطفة .

قال تعالى :

« ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » . (الاسراء : ٧٠)

« لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم » . (التين : ٤)

الانسان هو أكرم شيء فى هذا الوجود ، وهو مكرم عند الله ابتداء من آدم عليه السلام ، والى أن يرث الله الأرض ومن عليها • ولقد كرم الله الانسان كانسان بصفة عامة ، فالناس جميعا اخوة متساوون كأسنان المشط ، قال تعالى :

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، ان الله عليم خبير » •

(الحجرات : ١٣)

لقد سما الاسلام بالانسان فاعترف به كله •• روحه وجسده ، عقله وقلبه ، ارادته ووجدانه ، غرائزه الهابطة وأشواقه الصاعدة •• لم يضع فى عنقه غلا ، ولا فى رجله قيدا ، ولم يحرم عليه طيبا ، ولم يغلق فى وجهه باب خير ، ولم يدعه للمتاجرين بالدين يتلاعبون به ، بل خاطبه خطابا مباشرا :

« يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم • الذى خلقك فسواك فعدلك • فى أى صورة ما شاء ركبك » • (الانفطار : ٦ ـ ٨)

« يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه » •

(الانشقاق : ٦)

* * *

الاسلام وحقوق الانسان

جاء الاسلام ليقرر أن للانسان حقوقا ينبغى أن ترعى ، كما أن عليه واجبات ينبغى أن تؤدى • فكما أنه يسأل عما عليه ، يجب أن يعطى ما له ، فكل واجب يقابله حق ، كما أن كل حق يقابله واجب • وهذه الحقوق ليست منحة من مخلوق آخر يمن بها عليه ان شاء ويسلبها منه متى شاء •• بل انها حقوق قررها الله له ، فهى حقوق ثابتة دائمة بحكم الطبيعة والشريعة معا •• ومن هذه الحقوق : حق الحياة •• حق الكرامة •• حق الكفاية •• التى سنناقشها فيما يلى[١٨] :

---

(١٨) يوسف القرضاوى ، **الخصائص العامة للاسلام** ، ص ٧٧ — ٨١ •

١ ــ حق الحياة للانسان :

قدس الاسلام حق الحياة للانسان ، وحماه بالتربية والتنشئة الصالحة والتوجيه ، وبالتشريع والقضاء ، وبكل ما يدعمها من مؤيدات نفسية وفكرية واجتماعية • لقد اعتبر الاسلام الحياة هبة من الله لا يجوز لأحد أن يسلبها غيره •• فلا يجوز لحاكم أن يسلب حياة المحكوم ، ولا لسيد أن يسلب حياة عبده ، ولا لزوج أن يسلب حياة زوجه ، ولا لوالد أن يسلب حياة ولده•

ولا غرو أن أنكر القرآن الكريم على أهل الجاهلية من العرب قتل أولادهم سفها بغير علم •• فوأدوا البنات خاصة مخافة العار ، وقتلوا أبناءهم جميعا من أجل الاملاق الواقع أو خشية الاملاق المتوقع ، وجعل القرآن ذلك من أكبر الآثام • قال تعالى :

« وإذا الموءودة سئلت • بأى ذنب قتلت »• (التكوير : ٨ ــ ٩)

« ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق ، نحن نرزقهم وإياكم ، إن قتلهم كان خطئا كبيرا » • (الاسراء : ٣١)

لم يفرق الاسلام فى حق الحياة بين أبيض وأسود ، ولا بين حر وعبد • ولا بين رجل وامرأة ، ولا بين كبير وصغير •• حتى الجنين فى بطن أمه له حرمة لا يجوز المساس بها ، حتى الجنين الذى ينشأ عن طريق الحرام لا يجوز لأمه ولا لغيرها أن تسقطه ، لأنه نفس بشرية لا يحل الاعتداء عليها •• فلقد جاءت امرأة الى النبى صلى الله عليه وسلم وأقرت عنده أنها حملت سفاحا ، وطلبت اليه أن يطهرها باقامة الحد عليها ، قال لها : اذهبى حتى تلدى •• فلما وضعت طفلها جاءت بالطفل الى الرسول عليه الصلاة والسلام مطالبة مرة أخرى باقامة الحد ، فقال لها : اذهبى حتى تفطميه ، ولم ينفذ فيها العقوبة الا بعد أن جاءت بالطفل وقد أصبح يأكل الطعام[١٩] • •كل هذا رعاية لحق الجنين ، ثم المولود الرضيع ، لأنه لا ذنب له فيما جنته أمه أو اقترفه أبوه ، ولا تزر وازرة وزر أخرى •

---

(١٩) رواه مسلم •

ومن أجل المحافظة على الحياة ، جاءت آيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ تنذر بأشد العذاب من اعتدى على نفس بغير حق ، حتى ذهب بعض علماء المسلمين الى أن القاتل لا تقبل له توبة .

وفى سبيل المحافظة على الحياة شرع الاسلام فى قتل العمد القصاص مع الترغيب فى العفو والصلح بعوض أو بغير عوض ، قال تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى ، الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى ، فمن عفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان ، ذلك تخفيف من ربكم ورحمة .. »

(البقرة : ١٧٨)

« ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون » .

(البقرة : ١٧٩)

كما شرع الاسلام الدية والكفارة فى القتل الخطأ ، قال تعالى :

« وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ ، ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة وديـة مسلمة الى أهله الا أن يصدقوا ، فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة ، وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة ، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله ، وكان الله عليما حكيما » .

(النساء : ٩٢)

وكيف لا يحمى الاسلام حق الحياة للانسان ، وقد حمى حياة الحيوان اذا لم يكن منه أذى للناس ، قال تعالى :

« وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم »

(الأنعام : ٣٨)

وفى الحديث النبوى الكريم أن رسول الله ﷺ قال : « عرضت على النار ، فرأيت فيها امرأة من بنى اسرائيل تعذب فى هرة لها ، ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت جوعا » .

(رواه مسلم)

* * *

٢ — حق الكرامة وحماية العرض :

أكد الاسلام حرمة العرض والكرامة للانسان ، مع حرمة الدماء والأموال ، وقد أعلن النبى ﷺ ذلك فى حجة الوداع أمام الجموع المحتشدة فى البلد الحرام ، والشهر الحرام ، واليوم الحرام • « ان الله حرم عليكم دماءكم وأعراضكم وأموالكم » (رواه الشيخان)

فلا يجوز أن يؤذى انسان فى حضرته ولا أن يهان فى غيبته ، سواء أكان ذلك الايذاء للجسم بالاعتداء أم للنفس بالقول •

لقد حرم الاسلام أن يضرب انسان بغير حق ، وأن يجلد ظهره بغير حد ، وأنذر باللعنة من ضرب انسانا ظلما ، ومن شهده يضرب ولم يدفع عنه ، وبهذا حمى الانسان من الايذاء • كذلك حرم الاسلام الايذاء الأدبى للانسان •• فحرم الهمز واللمز والسخرية والغيبة وسوء الظن بالآخرين ، ونزلت فى ذلك آيات بينات ورويت أحاديث عن سيد المرسلين محمد ﷺ • قال تعالى :

● **« قد أفلح المؤمنون • الذين هم فى صلاتهم خاشعون • والذين هم عن اللغو معرضون »** • (المؤمنون : ١—٣)

● **« يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون »** •
(النور : ٢٤)

● **« يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ، ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا •• »** (الحجرات : ١٢)

● **« ولا تطع كل حلاف مهين • هماز مشاء بنميم »** •
(القلم : ١٠ — ١١)

● **« ويل لكل همزة لمزة »** • (الهمزة : ١)

● **« يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب •• »** (الحجرات : ١١)

● « ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون ٠ واذا مروا بهم يتغامزون ٠ واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين » ٠
(المطففين : ٢٩ — ٣١)

● « ٠٠ ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك » ٠٠
(آل عمران : ١٥٩)

● « ٠٠ وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا » ٠ (الفتح : ١٢)

ومن الحديث النبوى الشريف :

— « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليقل خيرا ، أو ليصمت » ٠
(متفق عليه)

— « ان العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يلقى لها بالا يرفعه الله بها درجات ، وان العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقى لها بالا يهوى بها فى جهنم » ٠ (رواه البخارى)

— « أكثر خطايا ابن آدم من لسانه » ٠
(رواه الطبرانى والبيهقى)

— « اياكم والظن ، فان الظن أكذب الحديث ، ولا تجسسوا ولا تناغسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله اخوانا كما أمركم ٠ المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يحقره ٠ » ٠ (رواه البخارى ومسلم)

— « لا يدخل الجنة نمام » ٠ (متفق عليه)

— « من رد عن عرض أخيه بالغيبة كان حقا على الله أن يعتقه من النار » ٠ (رواه أحمد)

— « ليس المؤمن بالطعان ، ولا اللعان ، ولا الفاحش ، ولا البذىء » ٠
(رواه الترمذى)

— عن أبى موسى رضى الله عنه قال : قلت يارسول الله : أى المسلمين أفضل ؟ قال : « من سلم المسلمون من لسانه ويده » ٠ (متفق عليه)

ولم يكتف الاسلام بحماية الانسان فى حياته ، فكفل له الاحترام بعد مماته ، ومن هنا جاء الأمر بغسله وتكفينه ودفنه ، والنهى عن

كسر عظامه أو الاعتداء على جثته ، ما لم تدفع الى ذلك ضرورة — كمعرفة أسباب القتل (فى الطب الشرعى) — مما يستلزم تشريح الجثة أو كسر بعض العظام • وجاء فى الحديث النبوى الشريف :

— « كسر عظم الميت ككسره حيا » • (رواه أحمد وأبو داوود)

وكما حمى جسمه بعد الموت حمى عرضه وسمعته أيضا ، لئلا تلوكها الألسن • قال رسول الله ﷺ :

— « لا تذكروا موتاكم الا بخير » • (رواه أبو داوود)

* * *

٣ — حق الكفاية التامة :

من حق كل انسان أن تهيأ له كفايته التامة من العيش بحيث تتوافر له الحاجات الأساسية للمعيشة ، من مأكل وملبس ومسكن وعلاج وما يتصل بذلك مما يحتاج اليه الانسان فى معيشته • والواجب أن يكون للانسان دخل كاف يحقق كفايته منه ، عن طريق الكسب المشروع من زراعة أو تجارة أو صناعة أو حرفة ، سواء عمل الانسان لنفسه أم لغيره بأجر يكافىء جهده •

فاذا لم يكن للانسان دخل يكفيه ، كان على أقاربه الموسرين أن يتكفلوا به ، لأنه جزء منهم ، وهم جزء منه • قال تعالى :

« •• وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله •• »

(الأنفال : ٧٥)

وان لم يكن له أقارب موسرون ، يستطيعون حمله معهم ، وجبت كفايته من الزكاة ، التى فرضها الله على المسلمين ، تؤخذ من أغنيائهم لترد على فقرائهم : فهى من الأمة واليها •

والزكاة عبادة مقترنة بفريضة الصلاة ، وهذه العبادة لم يختص بها الاسلام وحده ، بل هى فريضة فى شرائع الأمم السابقة •• فهؤلاء أنبياء الله ابراهيم ولوط واسحاق ويعقوب يذكر القرآن الكريم عنهم فى سورة الأنبياء :

« وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين » • (الأنبياء : ٧٣)

* * *

وهذا نبى الله اسماعيل يقول القرآن الكريم عنه فى سورة مريم :

« وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة ٠٠ » (مريم : ٥٥)

وهذا عيسى عليه السلام يقول :

« ٠٠ وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا » ٠ (مريم : ٣١)

ولقد جعل الله سبحانه ايتاء الزكاة شرطا لتكفير السيئات :

« ٠٠ لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلى وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم ٠٠ »

(المائدة : ١٢)

ورحمة الله وسعت كل شىء ، ولكن الله سبحانه خصصها للذين يتقون ويؤتون الزكاة :

« ٠٠ ورحمتى وسعت كل شىء ، فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة ٠٠ » (الأعراف : ١٥٦)

ولم يعتبر القرآن الكريم المسلم مسلما تحترم اخوته من المسلمين الا بالتوبة واقامة الصلاة وايتاء الزكاة :

« فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين ٠٠ »

(التوبة : ١١)

والقرآن الكريم اعتبر الدين القيم من شروطه الزكاة :

« ٠٠ ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، وذلك دين القيمة » ٠

(البينة : ٥)

ولقد أثنى الله على المؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ووصفهم بالفلاح :

« قد أفلح المؤمنون ٠ الذين هم فى صلاتهم خاشعون ٠ والذين هم عن اللغو معرضون ٠ والذين هم للزكاة فاعلون » ٠

(المؤمنون : ١ — ٤)

وقد أنذر الله سبحانه الذين لا يدفعون الزكاة ووصفهم بالمشركين ونفى عنهم الايمان باليوم الآخر :

« ٠٠ وويل للمشركين ٠ الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافـــرون » ٠ (فصلت : ٦ ــ ٧)

والزكاة لا يمكن الانتفاع بها على الوجه الأكمل الا اذا جمعت بواسطة « العاملين عليها » ٠ وهذه الفريضة لا يمكن التساهل بها لأن الاسلام يقوم على المجتمع المتكافل المتعاون على البر والتقوى ، لا على الأنانية والاثم والعدوان ٠ وفى الحديث النبوى الكريم :

ــ « مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسـد الواحد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضـاء بالسـهر والحمى » ٠ (رواه البخارى)

ــ « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يثلمه ٠ من كان فى حاجـة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بهـا كربة من كرب يوم القيامة ٠ ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة » ٠ (رواه البخارى ومسلم)

ــ « الصدقة تسد سبعين بابا من السوء » ٠ (رواه الطبرانى)

ــ « خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى وابدأ بمن تعول »٠ (رواه البخارى)

ــ « ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة ، وما أطعمت ولدك فهـو لك صدقة ، وما أطعمت زوجك فهو لك صدقة ، وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة » ٠ (رواه البخارى)

ــ « من أراد أن تستجاب دعوته وأن تكشف كربته فليفرج عن معسر » ٠ (رواه أحمد)

ــ « حصنوا أموالكم بالزكاة ، وداووا مرضاكم بالصدقة ، وأعدوا للبلاء الدعاء » ٠ « رواه الطبرانى)

ان الزكاة لم تجب لتحقيق الكفاية فحسب للانسان الفقير ، بل لتحقيق تمام الكفاية له ولمن يعول من أهل وأقرباء .. فالحد الأدنى المطلوب للفقير فى المجتمع الاسلامى ، ليس هو حد الكفاف : ولا حد الكفاية . بل تمام الكفاية . واذا لم تقم حصيلة الزكاة بتحقيق تمام الكفاية للفقراء والمساكين ، وجب على أغنياء كل بلد أن يقوموا بكفاية فقرائهم ، وان لم يفعلوا ذلك من تلقاء أنفسهم ألزمهم الخليفة أو الوالى بذلك باسم الشرع الذى أوجب التكافل بين المسلمين ، واعتبرهم كالجسد الواحد . فليس بمؤمن من بات شبعانا وجاره الى جنبه جائع .

* * *